

هذه قصتي أسوقها لكم لعل فيكم من يسمع ويعي .

كنت شاباً يافعاً مشرئب المعالي ، سليم المعاني ، تتراءح في قلبي الكثير من الآمال والأحلام التي تراود كل فتى ، أجد نهمتني في قراءة القرآن الكريم ، وألتهم كل ما يقع في يدي من الكتب النافعة ، لا أزال ملتقاً بحلقة تحفيظ القرآن منذ بلوغي العاشرة من عمري ، ولم أتركها حتى يومني هذا ، لطيف المشاعر صادق الإحساس ، يحبني كل من يقابلني ، أستقبل كل من يراني بابتسامة ترسم على محياي .

لم أكن بمعزلٍ عما يداهم شباب زمي من توافق الملهيات وشواغل الترهات لاسيما الشهوات وما أدرك ما الشهوات !

كنت أجاهد نفسي عن ذلك كله إذا عنّ لي ما قد يضرني منها مستعيناً بالله ثم بالرفقة الصالحة التي تلزمني طاعة الله والاستقامة على طريقه ، محاضرات ، دروس علمية ، مجالس تربوية جادة كل ذلك كان حياتي ، أنسى نفسي الساعات الطوال في القراءة ، أمكث في المسجد أو قاتاً كي أحفظ سورة من سور القرآن .

تخرجت من الجامعة وكانت فرحتي غامرةً جداً ، كان تخصصي نادراً لذلك كان تعيني في المكان الذي اختاره ، لا أصف فرحة الوالد والوالدة عندما علموا أنني سأقيم معهم ولم أتغرب لا سيما أنني أول أبنائهم الذكور .

لا أريد أن أطيل عليكم في مقدمة قصتي حتى لا تملوا .

بعد زواجي بفترة وجيزة ، اجتمعت مع بعض الأصدقاء والأحباب ، في منزل أحد هم كانت جلسة ثرية تنوعت مواضيعها الجميلة ، المشوبة بالطرف النادر والفكاهة البريئة والتعليقات على البعض .

طرق أحد الشباب لموضوع الإنترت وشخص بعض حالات الشباب وانهماكهم في استخدام الشبكة العنكبوتية كيف استخدموها في إشباع غرائزهم .

كنت في ذلك الوقت منتصتاً مستمعاً مردداً : إن الله وإن إليه راجعون . لا حول ولا قوة إلا بالله .

أشهد الإخوان في هذا الموضوع ، وأنا مابين مستغرب ومتعجب .

أقول في نفسي أنا أملك حاسوباً ، وأدخل الشبكة بين الحين والآخر ولم أجد ما يقولون من تلك الصور والمشاهد الخليعة .

في أثناء الكلام قلت لأحد الإخوان : كيف يستطيع الشباب الدخول لهذه المواقع رد علىّ بكل ثقة وتمكن : الأمر بسيط جداً ثم أخذ يشرح لي الطريقة التي سجلتها في ذاكرتي تسجيل الآلة . ويا ليتنى لم أسمعه ولم أعي ما يقول !

لم أعلم أنني من ذلك المجلس سوف أدمى نفسي وأسعى في خرابها !
خرجت من هذا المجلس وقد تعاهدنا ألا يقطع أحدٌ منا الآخر .

ركبت سيارتي ، ولا زال شرح صديقي يرن في مخيالي ، ويتكرر علىّ إلى أن
وصلت البيت ، استقبلتني زوجتي وابنتي ، كما تستقبل الأرض الجراء ماء المطر ،
جلست معهم بجسمي لكن عقلي بعيدٌ عنهم ، فلا زال كلام صديقي يمرّ على تكراراً
وكان الشيطان يحفظني إياه .

تظاهرت بالنوم ، ثم استعدت له .

ما إن استقر جسدينا على السرير ، ووضعت رأسي على الوسادة بدأت زوجتي تكلمني
عن بعض الأمور التي دائمًا ما نتكلّم عنها ، لكنني أشرت إليها بحالي أني لا أرغب بما
تعودنا عليه فأنا أريد النوم ، عندما أخلدت هي إلى النوم إنسللت منها وخرجت بكل
هدوء ، قاصداً جهازي الحاسوب ، لا يمكن أن أعبر لكم حالياً هذه إلا بحديث النبي
صلى الله عليه وسلم : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن "

لم أزني ولكنني أحسست أنا أحسست أني في سكرة .. أني تجردت من كياني
وشخصيتي .. نسيت ذاتي نسيت القرآن والدروس وهم الدعوة ... نسيت كل شيء لم
يحضرني منها شيء جلست أمام الحاسوب ، وبدأت في تشغيله ، فوراً اتجهت نحو
الإنترنت ، أدخلت رقم بطاقة الشبكة ويدعي ترتفع بدأت أنامي ترتعد والعرق يتصرف
وكلام الشباب حاضرٌ في مخيالي ، والشرح الوافي من صديقي لم أنس منه شيء .
ثم بدأ التطبيق خطوة خطوة ..

بدأت الواقع تنهال علي من كل حدب وصوب !
أشخصت بصري ! زاد خفقان قلبي !
علت على ابتسامة الظفر عندما رأيت أول منظر .
كان منظراً تافهاً إذا فارنته بما رأيته من بعد .

لكني واصلت المسير وصرت كالقناص المترف الذي يبحث جاداً عن صيدٍ هو في غنىٍ
عنه .

مضيت تلك الليلة في الانتقال من موقع لآخر كل منظر يدعوني لما هو أفسخ منه حتى
أذن الفجر .

يا الله أذان الفجر الذي دائمًا أتلذذ به ، كنت أسمعه من قبل وأنا مستغرق في النوم فأقوم
إلى صلاتي ، بل كنت أستمع إليه وأنا قائم أصلّي ما تيسّر لي من قيام الليل .
أذن الفجر هذه المرة ولم يعني لي هذه المرة أي شيء ، الموضع تلو الموضع ، تضليلي

كثيراً صفحة الحجب و يتمعر لها وجهي .
وددت لو أن العالم العاري كله أمام عيني .
يا الله ما هذا الشغف ما هذا الجنون الذي أعيشه .

دقائق وصوت المؤذن يرتفع بالإقامة ، قمت وأنا لا زلت في شوق للمزيد . قمت وأنا أتابع بنظري الشاشة ، توضأت ثم عدت إلى الشاشة مرة أخرى أرقب مفاجآتها . أسرعت إلى المسجد لعلي أدرك الجماعة ، أو أدرك الصلاة قبل السلام . كانت هذه الصلاة بمثابة استرجاع لما رأيته آنفاً مرت على كل الصور والمشاهد الخليعة التي رأيتها ، لم أعقل من صلاتي شيء .

بعد أن أنهيت الصلاة ، كررت راجعاً أستيقظت زوجتي ، وعلى وجهها علامات الإستغراب ، هل نمت البارحة ؟ غريبة قاعد على الحاسب ؟ أردّ عليها بكل بروء : أنت تعرفين هذا الكمبيوتر فتنة ، الواحد إذا فتحه ينسى نفسه . قالت وقد ارتسمت على محياتها ابتسامة جميلة يخالطها النعاس : بس ما تنسانني ؟ ! أشرقت الشمس ، واتضح النهار وأنا أخوض هذا البحر الهائج ! أشرقت شمس يومي على هذه الحالة ، وقد كانت من قبل تشرق علىٰ وأننا في المسجد أتلوا كتاب الله ، وأذكره سبحانه .

سبحان مغير الأحوال . تغيرت حالي في سرعة عجيبة . بعد أن أحجهت عيناي ، وبدأت أفقد الكثير من تركيزي بسبب الساعات الطوال التي مضت ، أغلاقت الجهاز بعد أن حفظت الكثير من المواقع الخبيثة . أسرعت إلى فراشي واستلقيت عليه ثم ارتسمت ابتسامة عريضة ، وبدأت تمر على ما اختزلته في ذاكرتي من مشاهدسوء ، كنت في سكرة ، لم أفق منها . نسيت " الذين يخشون ربهم بالغيب " و " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " و " يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور " و الكل الهائل من الأحاديث التي قد توقفتني من سكري .

مر اليوم الذي يليه على هذه الحال ، كنت فيه أشره من سابقه ، كنت كالجنون يبحث عن ليلاه .

تغيرت حالي وتبدل أحوالى ، دائمًا أفكـر ، أتهـرب ، أـتصـلـ منـ مـسـؤـلـيـاتـيـ ، أـفـرـعـنـ بـرـ أبيـ وأـمـيـ .

وفي غمرة السكرة ولجة الظلمة ، استيقظت ، وقلت في نفسي : أنا ماذا فعلت ؟؟ هل أنا مهيبول ؟؟ لجأت إلى الله سبحانه ، ندمت على ما فات أشد الدم .

كان وقع هذه المعصية كبيراً على نفسي ، بكى وبكيت في سجودي . وقيامي وركوعي .

ولكن النظرة كالجمرة تحرق وتبقى أثراً .

عزمت على ترك ما أنا فيه واستغفرت الله .

لكني - والأمر بيد الله والحكم حكمه - لا أزال أعاني من توارد تلك المشاهد والصور ، على تفكيري تشغلي كثيراً في أغلب أوقاتي ، ومع كثرة هذه الأفكار التي ترد على وإلحادها على ذهني ، وقعت في الفخ مرة أخرى !!!

نعم وقعت في الفخ مرة أخرى ! عدت لما كنت عليه بل صرت أكثر احترافاً ومقدراً أظلم قلبي ، وشغفت بتلك المناظر شغف الخليل إلى خليله .

كنت أظهر للناس بمظهري السابق ، الإلتزام ، الخلق الحسن ، حفظ القرآن وكانت أبطن في نفسي الكم الهائل من المناظر والصور العارية لأجساد الكفرة والفسقة .

أتوب وألجأ إلى الله ، ثم أعود مرة أخرى ، على هذه الحال مراراً وتكراراً !!
ندرت على نفسي النذور وأخذت عليها العهود والمواثيق ، ولكن لا جدوى ، فدائماً قلبي مشغوف بالصور .

قلت في نفسي السبب جهاز الكمبيوتر ، هو الذي يعييني على هذه المعصية ، ثم إن جهاز المودم هو الوسيلة الوحيدة للاتصال بهذه المواقع .
أخذت مفتاحاً ثم قمت وأنا في حنق وغضب أكسر المودم وأهشمته حتى أيقنت أنه تعطل وأصبح لا جدوى له .

حمدت الله وشكرته إذ ، لا موضع بعد اليوم .

بقيت في حال جميلة فقد عدت إلى ما كنت عليه من النقا والصلاح .
ولكن لا زالت المناظر التي رأيتها تُعرض علىَّ ، ويمر طيفها على خيالي . لا أراها بعيني ، ولكن أراها في فكري ، في ذهابي ، وإيابي ، حتى في صلاتي . عشت أياماً عصيبة ، أصارع فيها نفسي ، وشهوaty .

كنت المنهزم دائماً أمام نفسي فلا ألبث أن أعود مرة أخرى إلى ما كنت عليه والبحث عن موضع السوء لا أخفيك سراً ، أنتي مع مرور الزمن لم أكن أتلذذ برؤية هذه الصورة لذة تذكر ، بل أحس أنني أجر إليها جراً وأسعى إليها بلا سبب يدعوني إلى ذلك ، ناهيك عن الحسرات والآهات التي كنت أتجربها !

لا أكتتمكم أيضاً أن شئم هذه المعصية بدأ يتراء لي بين الفينة والأخرى ، كانت المصيبة

تائيني وأقول في نفسي هذه والله المعاشي ، هذا من النظر إلى ما حرم الله ، هذا مصدق قول الله عز وجل : " وما أصابكم من مصيبةٍ فيما كسبتُ أيدكم ... " الآية . كم مرة حرمت من الرزق وأنا أراه يأتي إلي ، بل والله إني أرى بعض الأمور التي أسعى إليها من أمور الدنيا كترقية أو انتقال أو غيره ليس بين تحقيقها إلا اليسير ، ثم أرها تذهب عني ، وتنتقل إلى غيري وقد أعقبتني حسرة وندم .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن العبد ليحرم الرزق بسبب الذنب يصيبه) . أعود إليكم وأقول أنني مع ما أنا فيه من حال لم أترك الالتجاء إلى الله والتضرع إليه ، بل أكثر من العبادات صياماً وصلاوةً وتصدقـاً وبراً . وبالأخص بعد كل توبـةٍ أجدها إذا استرسلت في غيـي ، كنت أبكي في صلاتـي بكاء الأطفال متضرعاً إلى الله أدعوه بأسـماءـه الحسـني وصفاته العـلـى أن يغـفرـ لي وأن يبعـدـني عن هـذـهـ الشـهـوةـ . أواضـبـ على حضورـ المحـاضـراتـ والـدـرـوـسـ ، أـسـتـمعـ كـثـيرـاـ إـلـىـ كـتـابـهـ .

فـإـنـ كـنـتـ مـلـطـخـاـ بـهـذـهـ الـمـعـصـيـةـ إـلـاـ أـنـ ذـلـكـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـبـعـدـنـيـ عـنـ رـبـيـ ؛ـ حـيـثـ لـاـ مـلـجـاـ مـنـ اللهـ إـلـاـ إـلـيـهـ .ـ وـالـأـمـرـ أـمـرـهـ وـالـقـضـاءـ قـضـاؤـهـ ضـاقـ صـدـريـ وـضـاقـتـ حـيـاتـيـ ،ـ قـدـ يـقـولـ قـائـلـ :ـ لـمـاـذـاـ لـاـ تـبـعـدـ عـنـكـ الجـهاـزـ أـوـ تـبـيـعـهـ وـتـسـتـرـيـحـ ؟ـ وـأـنـأـقـولـ :ـ يـاـ لـيـتـ ذـلـكـ يـنـفـعـ وـقـدـ جـرـبـتـهـ مـرـارـاـ .ـ

كم من جهازـ كـسـرـتـهـ ،ـ وـخـسـارـةـ خـسـرـتـهـ ،ـ وـمعـ كـلـ ذـلـكـ أـعـودـ لـمـاـ أـنـاـ عـلـيـهـ .ـ لـاـ أـخـفـيـ عـلـيـكـمـ أـنـيـ فـكـرـةـ فـيـ الإـنـتـهـارـ أـكـثـرـ مـرـةـ ،ـ وـلـكـنـ اللهـ سـلـمـ وـقـلـتـ أـيـهـمـاـ أـعـظـمـ أـنـ أـقـتـلـ نـفـسـيـ فـأـبـوـءـ بـالـإـثـمـ الـعـظـيمـ ،ـ أـمـ أـجـاهـدـ نـفـسـيـ عـنـ هـذـهـ الـمـعـصـيـةـ .ـ لـكـلـ شـيـءـ نـهـاـيـةـ وـلـكـلـ أـمـرـ مـسـتـقـرـ .ـ

كـثـرـتـ عـلـيـ المـصـائبـ وـتـوـالـتـ عـلـىـ الـخـسـائـرـ الـمـالـيـةـ ،ـ وـكـثـرـتـ التـعـقـيدـاتـ التـيـ لـاـ أـعـلـمـ مـنـ أـيـنـ تـأـتـيـ ،ـ أـصـبـحـتـ مـحـطـمـ الـكـيـانـ ،ـ دـائـمـ التـفـكـيرـ لـاـ أـعـلـمـ كـيـفـ أـنـجـوـ وـكـيـفـ أـخـرـجـ مـنـ هـذـاـ الـكـهـفـ الـمـظـلـمـ .ـ

مرـ حـدـيـثـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـهـ قـالـ :ـ (لـأـعـلـمـ أـفـوـاـمـ مـنـ أـمـتـيـ يـأـثـوـنـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ بـحـسـنـاتـ أـمـتـلـ حـيـالـ تـهـامـةـ بـيـضاـنـاـ فـيـجـعـلـهـاـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ هـبـاءـ مـنـثـورـاـ قـالـ ثـوـبـانـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ صـفـهـمـ لـنـاـ جـلـهـمـ لـنـاـ أـنـ لـاـ نـكـونـ مـئـهـمـ وـأـنـحـنـ لـاـ نـعـلـمـ قـالـ أـمـاـ إـلـهـمـ إـخـوـاـنـكـمـ وـمـنـ جـلـدـتـكـمـ وـيـأـخـدـوـنـ مـنـ الـلـئـلـ كـمـاـ تـأـخـدـوـنـ وـلـكـلـهـمـ أـفـوـاـمـ إـذـاـ خـلـوـاـ بـمـحـارـمـ اللـهـ اـتـهـمـوـهـاـ)ـ قـلـتـ فـيـ نـفـسـيـ هـلـ كـلـ أـعـمـالـيـ التـيـ أـعـمـلـهـاـ اللـهـ وـأـسـعـىـ فـيـ أـنـ تـكـوـنـ خـالـصـةـ لـهـ سـتـدـهـ هـبـاءـ مـنـثـورـاـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ؟ـ

كـانـتـ الصـدـقـةـ وـالـصـلـاـةـ مـنـ الـعـبـادـاتـ الـمحـبـبـةـ إـلـىـ قـلـبـيـ :ـ حـفـرـتـ بـئـراـ فـيـ إـحـدىـ الـدـوـلـ الـإـسـلـامـيـةـ وـكـفـلتـ فـيـهـاـ حـلـقـةـ لـتـحـفيـظـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ،ـ وـكـفـلتـ يـتـيـمـاـ ،ـ لـاـ أـرـدـ مـنـ يـسـأـلـيـ

ملاً سواءً صدقة ، أو قرضاً ، كنت مقصد إخواني وأحبابي فيما يعترض لهم من حاجة .

لا أريد أن أباهني بما عملت ، أو أعجب به ولكن هل هذا كله سبب هباءً متوراً يوم القيمة ، عندما يستظل الناس في ظل صدقاتهم يوم الحر الشديد ، آتي أنا أبحث عن صدقاتي فأجدها هباءً متوراً .

يحرمني الله عز وجل من مصاحبة نبيه عندما قال صلى الله عليه وسلم : (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين ...) بكثرة على حالي ، وندمت على ما عملت ، هل هناك مقارنة بين لذة الساعة وال ساعتين التي أمكث فيها أمام الشاشة لرؤيه العاريات و بين رضا الله عز وجل والدخول في الجنة والسلامة من النار ؟ !

كنت وأنا أعمل هذه المعصية ، أبالغ في التحفظ والتتأكد من أن أحداً لا يراني ، وأمحو من جهازي جميع ما يتبقى من صور أو روابط تدل على جريمتي .

غاب عني أن علام الغيوب يعلم ما أفعل ويسمع ويبصر !!
"يسخون من الناس ولا يستخون من الله "

إن سمعت في البيت صوتاً ، وأمراً غريباً خفت وارتعدت ، ولم أخف من الحي القيوم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض والسماء يا الله ما أحلمك ! ما أطفلك بي ! مرت الأيام تلو الأيام ، وعندما بلغ الأمر منتهاه ، صارت زوجتي بحالى ، وما أنا فيه .

تفاجأت المسكونة ، ونظرت إلى بنظرة استغراب واستحقار ، وكأني بها تقول لا أرى منك إلا كل خير فما الذي دهاك ؟ لقد شعرت بأنني لا شيء ، وأنني أحق ما أكون ! طأطأتك برأسك أمامها وقلت في أسى وحيرة : ما أدرى ما أفعل ، لقد كنت منذ زمن بعيد وأنا على هذه الحال

وأنا أقرأ كعادتي في كتاب الله مررت بقوله تعالى : " إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير "

تأملت هذه الآية ووقفت عندها كثيراً كثيراً أمام معناها ، الذين يخشون ربهم بالغيب . هل أنا منهم ؟ الغيب معناه لا يراك أحد ، أن تكون غائباً عن الخلق فلا يراك أحد فتدعوك نفسك للشهوة ، ثم تقول إن كان أحد لا يراني فالله يراني .

ليس لي نصيب ؟ من أجر هذه الآية إن أنا بت على ما أنا عليه !

لقد بدأ النور يشع في قلبي ، وبدت أزاهير التقوى تتزين في روحي .

عزمت على التوبة النصوح والندم الصادق ، توجهت إلى الخالق سبحانه ، بقلب منكسر

، ورح مفتقرة إليه ، ناديه تضرعت إليه ، توسلت إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، مرغت وجهي في السجود إليه ، ناديت : يا ربِّي يا خالقي ، إن لم تغفر لي وترحمني لأكونن من الخاسرين ، يا رب ليس لي ربُّ سواك فأدعوه ، ليس لي من الجا إله إلا أنت ضاقت الأبواب إلا ببابك ، يا رب اعصمني من هذه الفتنة التي أنا فيها يا رب إني فقير إليك ليس بي حول ولا قوة إلا بك .

ربنا كريم ربنا رحيم ، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، في سجودي وقيامي وقعودي كان هذا همي وهذا دعائي ، أنتظر الفرج من الله الكريم فقد ضاقت بي الدنيا ، وأغلقت أبوابها في وجهي وليس لي إلا الله .

لا يفتر لسانني من ذكره ، وقلبي من التفكير فيه سبحانه في آلائه ومخلوقاته ، الحمد لله انكشفت الغمة وزالت الظلمة ، تركت هذه المعصية وانسلخ قلبي من التعلق بها ، أحسست أنني أولد من جديد ، استثار قلبي ، وانفرجت أسارير وجهي ، وتحسنات أحوالى .

أسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يرزقني شكر نعمته ، وأن يلزمني الطريق المستقيم ، والبقاء عليه ، وأن يحسن خاتمي ،، هذه قصتي أقولها لكم ، كي تجتنبوا ما وقعت فيه ، ولتعلموا أن الله وحده هو المنجي فلا يتعلق أحدٌ بغيره ، وهو يكشف الضر ويرفع البلاء ، ولتعلم كل من وقع في الصور المشاهد الخليعة أنه يقتل نفسه ، وينسفها إلى أسفل سافلين .

مصدر القصة :

<http://www.forsanelhaq.com/showthread.php?p=774961>